

دور المدرسة الاستشراقية الألمانية في تأسيس التحالف الألماني-العثماني 1910-1914

أمجد أحمد الزعبي *

<https://doi.org/10.35516/jjha.v20i1.3577>

ملخص

واكبت المدرسة الاستشراقية الألمانية نشأة الدولة الألمانية وتطوّرها، ليظهر لدينا مع مطلع القرن العشرين ما عُرف بدراسة واقع المجتمعات الشرقية المعاصرة بهدف التغلغل والسيطرة والاستعمار؛ حيث تناولت هذه الدراسة هذا البُعد عبر بيان دور الاستشراق الألماني في بناء التحالف الألماني-العثماني في حدوده الزمنية والمكانية، معتمدة على المنهج التاريخي والنقدي بالعودة إلى المصادر والمراجع الأولية. عالجت الدراسة الموضوع بالتطرق إلى جهود المستشرقين والمؤسسات الاستشراقية وبيان خطابها وربطها بتطوّر الأحداث داخل الإمبراطورية العثمانية، كما عالجت فكرة الخلافة الإسلامية في المشروع الاستشراقي الألماني التي بدأت في العهد الحميدي عبر مشروع الجامعة الإسلامية، وكيف تحوّلت إلى تبني مشروع الدولة العلمانية في عهد جمعية الاتحاد والترقي؛ لتعود خلال فترة الدراسة إلى فكرة السلطان "الخليفة" القادر على تثوير المسلمين في المستعمرات الفرنسية والبريطانية، وذلك عبر مذكرة قُدمها المستشرق الألماني ماكس أوبنهايم للإمبراطور والحكومة الألمانية، ليكون التحالف الألماني العثماني وإعلان الجهاد ثمرةً لهذا الجهد الاستشراقي. وخلصت الدراسة إلى أنّ الاستشراق الألماني انخرط بشكل كامل في هذه الفترة بمشروع الدولة الألمانية التوسّعي والإمبريالي.

الكلمات الدالة: الاستشراق، التحالف، جمعية الاتحاد والترقي، الجهاد المقدّس، الحرب العالمية الأولى.

مقدّمة

دار جدل واسع، وما يزال يدور، حول دور الاستشراق في بناء ومؤسساته في الانخراط الكلي أو الجزئي في التجربة الاستعمارية، سواء كحالة سابقة له أو لاحقة به. فإذا كان من البدايات للباحثين في تفكيك الجهد الاستشراقي المعرفي ودراسة نتاجه الكمي والنوعي بمدارسه المختلفة التقليدية: بريطانية، فرنسية، ألمانية، روسية، إيطالية...، أو مدارسه الحديثة: الأمريكية، الكندية، الأسترالية...، نجد أنّها ما تزال تراوح ريادة أنور عبد الملك في بحثه الموسوم "الاستشراق في أزمة" الذي ألفه سنة 1963 (عبد الملك 1983)، التي قادت إدوارد سعيد (2006) إلى تأكيد ذلك في نظرية سلطة المعرفة، وكيف تحوّل الاستشراق ليمارس دوره الاستعماري باستغلال المعرفة المتراكمة التي لا تزال تعيد إنتاج الشرق بصورته النمطية المبنية في أغلبها على المركزية الغربية، على الرغم من أنّ سعيداً اعتبر المدرسة الاستشراقية الألمانية استثناءً، اعتماداً على أنّ مرحلة الممارسة الاستعمارية في حدودها الزمنية قصيرة، أو أنها لم تستعمر جزءاً من الوطن العربي، وهذا بالضرورة نتاج الهزيمة بالحرب العالمية الأولى.

* قسم العلوم الأساسية والإنسانية، كلية الآداب والعلوم التربوية، جامعة فيلادلفيا، الأردن.

تاريخ الاستلام: 2024/10/30، تاريخ القبول: 2025/2/3.

متَّلت السنوات الأربع ما قبل الحرب العالمية الأولى 1910-1914 ما يمكن أن نطلق عليه الاندفاع الألماني الثاني نحو الشرق، على اعتبار أنَّ الأول بدأ مع تسلم فيلهلم الثاني 1859-1941 Wilhelm II للعرش الألماني وانتهى بخلع السلطان العثماني 1909، فالمدرسة الاستشراقية الألمانية التي أشرفت على هذا المشروع ورعته وعملت على تصوير الجامعة الإسلامية بفكرتها الحميدية على أنها مشروع ألمانيّ انتقلت لتغذي التوجُّه الجديد والاندفاع الألماني بتبني الدولة العثمانية الاتحادية -نسبة لجمعية الاتحاد والترقي- بمشروعها العلماني، لتعمل بروح الاندماج الكامل مع المشروع الاستعماري في تأسيس التحالف الألماني-العثماني، وما ترتب عليه من نتائج كارثية.

أسئلة الدراسة: حاولت هذه الدراسة الإجابة عن السؤال الإشكالي في عنوانها: ما دور المدرسة الاستشراقية الألمانية في التأسيس للتحالف الألماني العثماني؟ بالإضافة إلى الآتي:

1. إلى أي درجة استطاعت المدرسة الاستشراقية التحول من تبني أفكار داعمة للجامعة الإسلامية إلى دعم علمانية الدولة العثمانية؟
2. كيف وظّف المستشرقون الألمان فكرة الخلافة كرمز جامع للمسلمين في شخص السلطان "ال خليفة" منزوع الصلاحية؟
3. كيف أسهم أوبنهايم في بناء صورة براقية للدور الذي يمكن أن يؤديه العثمانيون والمسلمون بدخولهم الحرب؟
4. إلى أيّ درجة تطابقت فكرة التحالف مع إعلان الجهاد المقدس في بداية الحرب؟

فرضية الدراسة: تفترض الدراسة أنَّ المدرسة الاستشراقية الألمانية أسهمت بشكل مباشر في وضع أسس التحالف الألماني-العثماني، وأنَّ الآلة الاستشراقية الألمانية انحرفت عن دورها الأساس المدعي للعلمية وخدمة المعرفة.

محاور الدراسة: عولجت أسئلة الدراسة وفرضيتها بالمحاور الآتية:

1. تقديم: المؤسسات الاستشراقية والمستشرقون الألمان 1910-1914.
2. الخلافة الإسلامية في المشروع الاستشراقي الألماني 1910-1914.
3. مذكرة أوبنهايم أساس التحالف الألماني-العثماني.
4. إعلان التحالف الألماني-العثماني والجهاد 1914.

الأهداف والأهمية: سعت هذه الدراسة إلى التعريف بالدور الذي اضطلعت به المدرسة الاستشراقية الألمانية خلال مرحلة الدراسة في خدمة المصالح والرؤى السياسية للإمبراطورية الألمانية، التي انصبَّت على التوسُّع والتغلغل وتحقيق الطموح الاستعماري الألماني في الإمبراطورية العثمانية، وتعرُّف دور رُواد الحركة العربية في تقاطعهم مع الألمان في ما يمكن أن نسميه الواقعية السياسية -على اعتبار أن المشروع الألماني متناقض مع المشروع الاستعماري الفرنسي والبريطاني- ودور جمعية الاتحاد والترقي بوصفها ممارساً للسلطة، ومحاولة تحليل الخطابات الاستشراقية الألمانية - وربطها برموزها الرئيسية خلال تلك الفترة: كارل هنريش بيكر 1876-1933 Karl Heinrich Becker، مارتن هارتمان 1851-1918 Martin Hartmann، ماكس أوبنهايم 1860-1946 Max Freiherr von Oppenheim

إيرنست جاك Ernst Jäckh 1875-1959 وغيرهم- لبناء تصوّر شمولي ودقيق حول هذا الدور. وتكمن أهمية هذه الدراسة في تسلطها الضوء بدراسة تفصيلية جديدة على دور المدرسة الاستشراقية الألمانية في التحالف الألماني-العثماني، برؤية جديدة من حيث الأسئلة والفرضية، بحيث إنّها تقدّم للباحثين في الشأن الاستشراقي هذه الصورة التفصيلية، وتحثهم وتفتح لهم مجالاً جديداً يمكن القياس عليه.

الدراسات السابقة: في الدراسة جِدّة وتميُّز من حيث: العنوان، والفرضية، والأسئلة، والمعالجة، بإبراز جانب واحد "دور المدرسة الاستشراقية في التحالف الألماني العثماني" في إطاره التاريخي والزمني 1910-1914. وعلى الرغم من ذلك فهي تتقاطع مع دراسات أخرى، لعل أبرزها دراسة الزعبي (2019)، التي تناولت الموضوع في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، وللزعبي دراسة باللغة الإنجليزية قيد النشر تغطي الفترة الأولى من مطلع القرن العشرين وتنتهي بالثورة الدستورية والانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني، إلا أن الدراسة الحالية مختلفة من حيث الفترة الزمنية التي تغطيها، فهي تكملها وتبني عليها. واعتمدت الدراسة على مرجع مهم لعبد الرؤوف سنو: ألمانيا والإسلام؛ حيث استفادت من الجهد العلمي الرصين الذي قدّمه؛ فقد تطرّق لتاريخ العلاقات العثمانية الألمانية بخاصة بلاد الشام ولبنان، وزيارة الإمبراطور الألماني للدولة العثمانية في إطار علاقة ألمانيا مع الإسلام حتى نهاية الحرب العالمية الثانية.

كما تقاطعت الدراسة مع دراسة سوزان مارشاند (2018)، التي تناولت الاستشراق الألماني في عصر الإمبراطورية من الصين شرقاً حتى المغرب ما بين تحقيق الوحدة الألمانية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، وقد أفادت الدراسة من هذا المرجع المهم، واختلفت بالربط الدقيق للتغلغل والتوظيف الاستعماري في إقامة التحالف، كما عالجت مارشاند الاستشراق بالعمومية الكليّة ولم تركز على دور المدرسة الشرقية في بناء التحالف الألماني العثماني. وفي قائمة المصادر والمراجع العديد من الباحثين الذين تناولوا الموضوع كجزئية داخل دراساتهم، ويكفي إلقاء نظرة على هذه القائمة ليُتضح ذلك.

الحدود المكانية والزمنية: الدولة العثمانية وألمانيا 1910-1914: تبدأ الدراسة بسنة 1910 على أساس فترة الاندفاع الألماني الثاني في الدولة العثمانية، بتبني المدرسة الاستشراقية خطاباً جديداً داعماً للدولة العلمانية بعد خلع السلطان عبد الحميد، التي توجّهت بالتحالف الألماني العثماني وإعلان الجهاد سنة 1914.

1. تقديم: المؤسسات الاستشراقية والمستشرقون الألمان 1910-1914.

قادت تغييرات ما بعد الثورة الدستورية والانقلاب الذي قاده الاتحاديون المستشرقين الألمان نحو مزيد من التغييرات البنوية في الخطاب الاستشراقي من جهة، والإفادة من الكمّ المعرفي حول الشرق في خدمة المصالح الألمانية، وإذا كانت ما أطلقتها سوزان مارشاند Suzanne Marchand النهضة الاستشراقية الثانية 1884-1900، التي تقاطعت فيه الرغبة العلمية مع المصالح السياسية (Marchand 2009:157-159) والمرحلة ما قبل 1908 كما ذكرها الزعبي على أنها التغلغل السلمي في مفاصل الإمبراطورية العثمانية (الزعبي 2019 مج 46 ع 1: 357-369)، لتكون مرحلة الدراسة قد نضجت وبنيت على أسس وقواعد جديدة تعاملت مع الاستشراق بوصفه وسيلة للتعمق في دراسة واقع الشرق المعاصر في بناء الاقتصادية والاجتماعية والثقافية ومعرفة توجهاته وطريقة تفكير نُخبه؛ حيث رُحّب المستشرقون الألمان بأداء هذا الدور (Herman 2014: 11-12).

كان تأسيس معهد هامبورغ الاستعماري (Das Hamburgische Kolonialinstitut) 1908-1919 -أصبح بعد

الحرب العالمية الأولى جامعة هامبورغ- بناءً على توجيهات وزير المستعمرات حينها بيرنهارد ديرنبرج¹ 1856-1937 Bernhard Dernburg، الذي سعى إلى إنشاء هذا المعهد بتمويل من القطاع الخاص: قطاع البنوك ورجال الأعمال؛ حيث كان واقعاً تحت تأثير الجولة التي قام بها في شرق أفريقيا التي سحرتة وداعبت فكره الإمبريالي؛ فقد أشبع في أثناء عمله السابق، بوصفه مدير المكتب الاستعماري في وزارة الخارجية، أو عمله اللاحق بوصفه وزير المستعمرات، بوضع أسس تتعلّق بالجانب العملي والعلمي للتعامل مع المستعمرات، ورغب عبر هذا المعهد في أن تتحوّل أفكار المتخصّصين من المستشرقين إلى الجانب العملي والاستعماري، وتوظيف المعرفة لديهم لخدمة نمو رأس المال الألماني؛ حيث بذل أقصى طاقته لضمان التعاطف الشعبي ودعم البرلمان لمشروعه الاستعماري (Ruppenthal 2007: 15-16).

أدت نخبة من المستشرقين الألمان هذا الدّور وعلى رأسهم المستشرق الألماني كارل هنريش بيكر، الذي وظّف علم الاجتماع الديني في الدراسات الاستشراقية لفهم الواقع المعاصر للمجتمعات الشرقية، خاصة الإمبراطورية العثمانية بتنوعها: أترك، عرب، أكرد، فرس... (Irwin, 2006:197-198)، التي أنتجت كتابه أو أطروحته للدكتوراة حول المسيحية والإسلام 1907، وسعى عبره إلى جعل الأفكار حول الإسلام داخل المجتمع الألماني أقل غرابة، ومن صمّ تسويق الفكرة الرائجة حول أن الإمبراطورية العثمانية هي الحليف المحتمل، وأنها تمثل بالنسبة إلى الرأي العام الألماني الإسلام (Becker 1909: 17ff.). وجد هذا الطرح طريقه ليكون جزءاً من المشروع الإمبريالي الألماني بعد تسلّم بيكر المعهد الاستعماري German Colonial Institute، الذي أنشئ بهدف إشباع حاجات ألمانيا من الموظفين والمتخصّصين في اللغات والسياسة والإدارة والمعرفة؛ فقد كانت الدفعة الأولى من الطلبة قد بلغت 56، بالرغم من أن هذا العدد غير كاف لتلبية هذه الحاجات (Becker 2005: 5-11).

كانت مجلة العالم الإسلامي Der Islam، التي صدرت عن المعهد، قد ترافقت بداياتها مع كتاب بيكر (السلالات الهرمية العرقية والدينية في أفريقيا)، وانتهجت سياسة تقوم على الاهتمام بالمجتمعات المعاصرة للشرق؛ فقد اختصت بحياة تلك المجتمعات اليومية، ومثّلت تعاوناً غير مسبوق لبيكر وهارتمان، الذي سبق بيكر بهذا التوجّه. وقد عدّ هارتمان الأب الروحي للمجلة، وبقي يكتب فيها حتى وفاته 1919، بالرغم من أنه أوّل رئيس للتحريّر. ومثّلت الرسائل المتبادلة بينهما مدى تأثير الكبير في رسم الملامح العامة للسياسة الاستعمارية الألمانية، خاصة ما تعلّق بالرؤية حول الدّور العثماني المحتمل في حال نشوب حرب عالمية. وكان النموذج الفرنسي والبريطاني الاستشراقي ملهماً لبيكر وهارتمان من حيث ارتباطه بدوائر الدولة الاستعمارية، كوزارة المستعمرات والحربية والخارجية، وببني المجتمع واحتضانه للمؤسسات الاستشراقية (Avcı 2019: 470-485; Herman 2014: 11-12; Berman 2011: 160)، فمجلة عالم الإسلام Der Islam بتمويلها وحشد طاقات رائدة لها من حيث ضمّها كبار المستشرقين للإشراف عليها والكتابة فيها، وهي أوّل مجلة نافست بشكل جيّد مجلة الجمعية الشرقية الألمانية Zeitschrift der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft (ZDMG)، التي عُرفت بعراقتها وقدمها وتعود نشأتها لسنة 1845- وما تزال تصدر إلى الآن (Avcı 2019: 274).

¹ سياسي ليبرالي وخبير اقتصادي في قطاع البنوك، عُيّن وزيراً للمستعمرات سنة 1907، وترأس Reichskolonialamt مكتب المستعمرات الإمبراطورية فيما وراء البحار سنة 1906-1910؛ مما منحه رتبة وزير دولة، وكانت علاقته مع المستشار الألماني مباشرة. بعد الحرب العالمية الأولى شغل منصب وزير المالية 1919-1920، وانتخب نائباً في الرايخ ستاج (البرلمان) ما بين 1920-1930. للمزيد، انظر: (Schiefel 1974; von Arna 2024)

ظهرت في عام 1912 "الجمعية الألمانية للدراسات الإسلامية" Deutsche Gesellschaft für Islamkunde، التي أسسها هارتمان مع بعض المستشرقين الذين عارضوا النهج التقليدي اللغوي الألماني في الاستشراق (Hagen 2004: 148-149). ليبدأ بعدها بالتعاون مع المستشرق الألماني جورج كامبفماير Georg Kampffmeyer بإصدار مجلة عالم الإسلام Die Welt des Islam، وهي مجلة أكاديمية أولت عناية خاصة في بداياتها بالواقع المعاصر للمجتمعات الإسلامية - ما تزال تصدر حتى هذا اليوم - (Robbe 1988: 5-10). ومن الجدير ذكره أن سيمنر اللغات الشرقية (SOS)، الذي تأسس 1887 على يد نخبة من المستشرقين الألمان، قد بقي المصدر الأساسي لتأهيل العاملين في الحقل الاستشراقي وإعداد الكوادر المؤهلة في المستعمرات الألمانية، وفي الذكرى الخامسة والعشرين لتأسيس السيمنر قال رئيسه المستشرق إيدوارد زاخو Carl Eduard Sachau 1930-1845: "لا يكفي أن يكون المسؤول العامل قنصلًا في البلاد الأجنبية ممثلًا لمصالح حكومته يعرف اللغة قراءة وكتابة، بل يجب أن يكون قادرًا - الهدف الأخير - على التعبير عن نفسه ويتصرف ببراعة دون خطأ في مواجهة الأقوياء في هذه الأرض، وألا يقف في المؤتمرات خلف أولئك الذين تعتبر لغة المؤتمر لغتهم الأم" (Theilhaber 2020: 181).

على النمط نفسه سارت الجمعية الاستعمارية الألمانية Deutsch Kolonialgesellschaft، التي عرفت اختصارًا بـ DKG وفقًا لقوانينها الأساسية، وكانت أهداف الجمعية الدعوة إلى سياسة استعمارية توسعية وتأمين المستعمرات الألمانية القائمة وتعزيز استخدامها الاقتصادي والبحث العلمي، وكان الهدف الصريح الآخر هو كسب "جميع الأطراف في الإمبراطورية الألمانية لصالح القضية الاستعمارية الألمانية". وقد ارتفع عدد المنتسبين للجمعية من 15 ألف سنة 1887م إلى 43 ألف عند قيام الحرب، توزعوا على 442 تخصصًا، من موظفين ورجال أعمال وتجار ومسؤولين عسكريين، إضافة إلى المتخصصين بالشؤون العلمية والبحثية (مارشاند 2020، ج2: 42؛ سنو 2007: 91-92).

سعى هارتمان بقوة إلى تحفيز الألمان على الاقتداء ببريطانيا التي تشكل فيها الثقافة الاستعمارية جزءًا لا يتجزأ من التفكير العام للمجتمع، بحيث يصبح تنظيم الاستعمار شأنًا كلف في الدولة الألمانية. كما اعتقد هارتمان ومن خلفه الآلة الاستشراقية بضرورة الدفع بشكل سريع لإقضاء الشريعة الإسلامية من جميع أجهزة الدولة والتوجه العلماني الحقيقي نحو تركيا وأوروبا. فعملية توجيه الرأي العام الألماني للقبول بدولة مسلمة حليفة قد طرح الجهود الاستعمارية ككل أمام سؤالها حول رسالة الأمة الألمانية ودورها في إطار المركزية الغربية ورسالة الرجل الأبيض، فالإنجازات العظيمة للأمة الألمانية دفعت زوَاد الاستشراق الألماني مع مطلع القرن العشرين وقبيل الحرب العالمية إلى تقديم خدماتهم لصالح السلطة السياسية والمشروع الاستعماري (مارشاند 2020، ج2: 17-18، 35)، إلا أن مسار الأحداث أعاد إلى الأذهان المسيرة الطويلة حول فكرة "السلطان الخليفة"، الذي جسده عبد الحميد ورعته الآلة الاستشراقية نفسها في ما مضى؛ أي أن الخليفة يملك ذلك التأثير في المسلمين ويمكن استخدامه لضرب البريطانيين والفرنسيين والروس. لكن ذلك يعيد طرح السؤال من جديد على الآلة الاستشراقية: كيف يمكن التوفيق بين حزب الإتحاد والترقي بتوجهاته القوميّة العلمانيّة وسلطة الخليفة المسلم القادر ضمن المفهوم الديني إطلاقًا "الجهاد المقدس"؟

2. الخلافة الإسلامية في المشروع الاستشراقي الألماني 1910-1914.

تشكّلت القناعة الألمانية ما بين 1908-1914 بأنّ الجيش العثماني هو الوسيلة المناسبة لضمان المصالح الألمانية داخل الإمبراطورية العثمانية؛ وعلى الرغم من الانتكاسات المتكررة لحزب الإتحاد والترقي من أزمة ضم البوسنة والجزر

في البحر المتوسط والهزائم المتكررة في البلقان فإنه بقي محافظاً على زمام السلطة بيده. فإذا كانت فرنسا وبريطانيا وروسيا قد ادّعت حق حماية الأقليات المسيحية في الإمبراطورية العثمانية وعزّزت نفوذها في هذه الأوساط فإن ألمانيا قد وضعت الإمبراطورية كاملة تحت حمايتها؛ إذ دفع الاحتلال الإيطالي لليبيا سنة 1911-1912 حزب الاتحاد والترقي العلماني لإعلان الجهاد وبعث الروح الإسلامية لمقاومة الاحتلال الإيطالي -لسنا معنيين هنا بتفاصيل الأزمة التي رافقت الاحتلال- لتعيد هذه الحرب الشغف الذي رافق المستشرق وعالم الآثار ماكس أوبنهايم مهندس خطابات الإمبراطور الألماني في أثناء زيارته الثانية للإمبراطورية العثمانية 1898، بخاصة الخطاب الأشهر في دمشق عندما أعلن فيه أنه صديق السلطان العثماني وأنه حامٍ لـ 300 مليون مسلم (Hagen 2004:150; Avcı 2019: 275-276).

احتجّت الخارجية الألمانية على سياسة فرنسا مع القوى الأوروبية لتسوية المسألة المغربية 1904-1905، وكذلك من المعاملة التفضيلية التي أقصت ألمانيا من مسلسل هذه التسوية، وادّعت الحكومة الألمانية أن لها حقوقاً استعمارية بالمغرب على غرار فرنسا وبريطانيا في إطار سياسة الباب المفتوح؛ حيث نجحت عن طريق سلطان المغرب بالدعوة إلى مؤتمر الجزيرة الخضراء 1906 الدولي، الذي حضرته معظم الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية. على الرغم من أن المؤتمر قد أكد خصوصية المصالح الفرنسية والإسبانية في المغرب فقد أظهر ألمانيا للرأي العام المغربي على أنها دولة ملتزمة بضمان استقلال الدولة المغربية ومصالحها، عندما رفضوا التوقيع على اتفاقية المؤتمر إلا بعد موافقة سلطان المغرب عليها. وقد أرضى ذلك غرور المغاربة وسمح للألمان بالاستمرار بالمساومة على المسألة المغربية مع فرنسا للحصول على مكاسب استعمارية، وأكد دخول ألمانيا حلبة الصراع الدولي الاستعماري (الكروي 2016: 1-20؛ بطراوي 2017: 246-257؛ فارس: 1961: 288-290).

عادت الأزمة من جديد بحيث كادت أن تؤدي لحرب عالمية، بعد قيام الإمبراطور فيلهلم بإرسال الطراد الألماني إلى أغادير سنة 1911، تأكيداً منه لرغبته الحقيقية والجديّة في الحصول على ما اعتبره الرأي العام الألماني حقاً مكتسباً يتوافق مع صعود ألمانيا كقوة عالمية استعمارية؛ حيث تدخلت ألمانيا تحت ذريعة حماية المخزن -السلطان المغربي أمير المؤمنين- من الأطماع الاستعمارية الفرنسية وصدافته المخلصة للإسلام والمسلمين (فارس 1961: 480؛ محمد 2019: 64-66)، وفي هذا كتب الفرد فون كيلدرن Alfred von Kiderlen-Wächter 1912-1852 وزير الخارجية، الذي كان له دور مهم في هذه الأزمة: "إن الفرنسيين يدركون أنّ عليهم منحنا تعويضات في المجال الاستعماري...، ولن يوافق الفرنسيون على أيّ عرض مقبول إلا إذا كانوا مقتنعين تماماً بأننا عازمون على اتّخاذ إجراءات متطرّفة. وإذا لم نبرهن على ذلك، فلن نحصل في مقابل انسحابنا من المغرب على ذلك النوع من التعويض...، إنها فرصتنا الأخيرة للحصول على قطعة أرض ذات قيمة في أفريقيا دون قتال...، سوف يكون بوسعنا أن نصل عبره إلى أراضينا في شرق أفريقيا..." (Gutsche 1977: 145). ففي كلتا الأزميتين قدّمت ألمانيا نفسها في الدعاية العربية الإسلامية بوصفها نصيراً لقضايا المسلمين والمدافع عن حقوقهم، بحيث إنّها خدعت رُؤاد الحركة العربية الإسلامية ومشايخها لدرجة أنه قيل إنّ القيصر الألماني فيلهلم الثاني قد دخل الإسلام أو أنه قريب من الدخول. وهنا ليس تلميحا كما في زيارته لدمشق 1898م، وإنّما دعوة علنية وصريحة للقيصر للدخول في الإسلام في رسالة على ما يبدو أنها لم تكن الأولى للإمبراطور الألماني من صاحبي "صحيفة نبراس المشاركة" الشيخ قاسم بن سعيد الشماخي وتلميذه ورفيقه الشيخ مصطفى بن إسماعيل العمري الفارضي².

² قاسم الشماخي 1857-1915: رجل دين إباضي، مفكّر ومُصلح وأديب، تعود أصوله إلى طرابلس في ليبيا، وُلد في القاهرة وتلقى علومه على

انعكست حالة التردّي التي عاشتها الإمبراطورية العثمانية على العناصر المكوّنة، ومنهم العرب، وتعمّقت مظاهر الشعور القومي لديهم بتأثير النزعة القومية البلقانية على وجه الخصوص والقوميات الأوروبية بشكل عام، وصار الاحتكاك بين العرب والترّك مباشرةً بعد انحسار الإمبراطورية العثمانية من أوروبا واحتكار حزب الاتحاد والترقي للسلطة؛ فقد كان عدد العرب نحو 10.5 مليون والترّك 7 مليون والأقليات الأخرى 3 مليون، وكان تمثيل العرب 65 نائباً في مجلس المبعوثان من أصل 240 نائباً. وأسهمت عوامل أخرى في تطور الدعوة للقومية العربية مع ظهور الجمعيات العلمية والأدبية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ونشطت حركة الترجمة والصحف والتأليف، التي توجت بتشكيل الأحزاب السياسية في فترة الانفتاح بعد الثورة الدستورية، ولعل الحركة الأبرز كانت بتشكيل الجمعية العربية الفتاة على غرار تركيا الفتاة، وبالرغم من مشاركة العرب في حزب الاتحاد والترقي فقد كانوا سباقين في الدعوات الإصلاحية والدعوة إلى مقاومة الاستبداد الحميدي وإعادة العمل بالدستور (حوراني 1977: 316-311؛ رؤوف 114: 115-v).

ومع تحوّل السلطان العثماني إلى رمز ديني وتقييد صلاحياته صار النقاش بين الأوساط العربية حول أحقيّة الأتراك بهذا المنصب الديني؛ فقد ظهر اتجاه قوي بين العرب يدعو إلى عودة الخلافة العربية، ففي فترة مبكرة دعا عبد الرحمن الكواكبي في كتابه (أم القرى وطبائع الاستبداد) -من رُود مشروع النهضة العربية- لكي يكون الخليفة عربياً قرشياً من نسل الأشراف الذين يعودون في نسبهم إلى النبي محمد عن طريق حفيده الحسن بن علي بن أبي طالب، ويضيف الكواكبي: "فإذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابعها لا يتحدّرون من الخلافة العربية، بل يرون من صوالحهم الخصوصية وصوالح النصرانية وصوالح الإنسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محدودة السطوة مربوطة بالشورى" (العقاد 2014: 131-136).

في أثناء ممارسة حزب الاتحاد والترقي سياسته المركزية وتترك الدولة كتب أحد عشر نائباً من نواب العرب في مجلس المبعوثان العثماني رسالة إلى شريف مكّة الحسين بن علي، جاء فيها: "نحن نؤاّب العرب في مجلس المبعوثان نُقرّك على إمارة مكّة، ونعترف لك دون سواك بالرياسة الدينية على جميع الأقطار العربية، واجماعنا هذا هو بالنيابة عن أهل بلادنا نجهر به عند الحاجة، والله يحفظك لأمتك، ويساعدك لدفع الشرّ عن دينك" (الموسى 1977: 57). وفي المعنى نفسه وجّهت جمعية العهد، التي أسسها الضابط في الجيش العثماني عزيز علي المصري وأحد الرُود المشاركين في الثورة العربية الكبرى سنة 1911، رسالة جاء فيها: "أيّها العرب المسلمون، إنّ هذه الدولة المستبدّة ليست دولة إسلامية؛ ويا أيّها المسيحيون واليهود العرب، اتّحدوا مع إخوانكم المسلمين" (حوراني 1977: 340).

كان هارتمان، الذي تحوّل إلى منتقد حاد لجمعية الاتحاد والترقي، من أوائل المستشرقين الألمان الذين تنبّهوا لدور القومية العربية في مستقبل الإمبراطورية العثمانية؛ فقد اعتقد أنه كان يتعيّن على الاتحاديين الأخذ بالنموذج البلغاري في الحكم أو المملكة الثنائية بين النمساويين والمجريين، وأنهم على الرغم من مزاعمهم عن الدولة الحديثة والعلمانية لم

يد والده ومشايخ الإباضية، له العديد من المؤلفات المطبوعة، منها: سرد الحُجّة على أهل الغفلة، وُبغية الطالب فيما يحتاج له الكاتب. من رجالات الجامعة الإسلامية القريبين من السلطان عبد الحميد، وكان ناشطاً في القاهرة في الهجمة التي شنّها الفكر السلفي على الشيخ محمد عبده وجمال الدين الأفغاني. أما مصطفى فقد كان على المذهب السنيّ ولكنه تحوّل إلى المذهب الإباضي بتأثير من رفيقه وشيخه، وقد أسسا الاثنين معاً الصحيفة التي لم يصدر منها سوى عشرة أعداد، وكانت تصدر ثلاث مرات بالشهر، وعبرت عما يهّم عموم المسلمين وخطر الاستعمار وضرورة التمسك بالخلافة العثمانية، وراسل كلاهما السلطان عبد الحميد برسائل مختلفة دعت السلطان إلى لقائهما وتكريمهما بإسطنبول. للمزيد من المعلومات، انظر: (الشيباني 1915).

يكافحوا من أجل "تدمير الخلافة" وتفكيك سلطة الإسلام. علاوة على ذلك، ادّعى هارتمان أنّ بعض المتقنين الذين كانوا قادرين على بناء دولة بروح أوروبية أزيحوا عن السلطة؛ لذا فإنه اتّجه اتّجاهاً آخر بالدعوة إلى التحالف مع القومية العربية، فالعهد الجديد سيخلق دولة تركية حديثة بها "أنواع مختلفة من الناس". إلا أنّ ما حدث حقاً هو "ظهور نوع من طبقة الأفنديين الكسالي في إسطنبول"، الذين صوّرهم هارتمان بـ "كاذبين ومناققين وكسولين" (Hartmann in: Avcı 2019: 480)؛ فقد اتّجهت مثل هذه الدعوات نحو الاستفادة من رُواد الحركة العربية وتقريبهم، وظهرت أسماء كبيرة من العرب، سواء من المغرب العربي أو المشرق العربي، التي جرى تقريبها أو التقرب منها.

نظر رُواد الحركة العربية إلى ألمانيا نظرة عملية مصلحية واقعية؛ فهي لا تحتلّ أرضاً عربية ولا تمثل تهديداً مباشراً للإمبراطورية العثمانية، وفي الوقت نفسه لم يصل العرب بعد إلى الاصطدام المباشر مع القومية التركية التي تطرّفت بها من قبل جمعية الاتحاد والترقي نحو سياسة التنريك. كما رأى ألبرت حوراني أنّ رُواد عصر النهضة قد عملوا على التوازن ما بين روح الإسلام بما يمثله من تعبير عن المشيئة الإلهية في قواعد سلوك الإنسان والمجتمع، وإعمال العقل وإيمانه بالعلم وأخذ المدنية الحديثة المنطلقة من أوروبا؛ أيّ الإنجازات العلمية وطريقة الغرب في الحكم لبناء شخصية عربية قادرة على مواجهة الأخطار الاستعمارية التي تواجههم، والتحدّي الوجودي المتمثل في تلك المطامع (حوراني 1977: 198-204)، فتوّق العرب إلى التخلّص من الاستعمار البريطاني والفرنسي سهّل على الألمان المهمّة.

تعدّدت أسماء رُواد الحركة العربية التي تعاونت مع ألمانيا -لسنا هنا معنيين بسرد القائمة الطويلة- لعل أبرزهم في لبنان شكيب أرسلان 1869-1946، السياسي ومؤلف أكثر من 20 كتاباً ومئات المقالات، ذو الحظوة الكبيرة والاحترام في بلاد الشام، وفي مصر عبد العزيز جاويش 1876-1929، من رُواد حركة المقاومة المصرية للاستعمار البريطاني، ومن أنصار الجامعة الإسلامية الذي تشدّد في الدعوة ورأى أن "مصر للمسلمين" كبديل عن شعار "مصر للمصريين"، ودافع بقوة عن الدولة العثمانية ودعا إلى تحالفها مع ألمانيا، والخديوي عباس حلمي الثاني 1874-1944، المتعاطف والساعي إلى الحصول على دعم ألمانيا لاستعادة عرشه الذي عزله منه البريطانيون، وفي العراق ظهر عزيز علي المصري 1879-1965 مؤسس جمعية العهد 1909، الذي دفعه إلى ذلك كراهيته للبريطانيين وأنّ الوسيلة للحفاظ على الدولة العثمانية هي بالتعاون مع الألمان (سنو 2007: 108-109). والقائمة تطول وتتنوع ما بين رُواد يمثلون الطبقات الاجتماعية العليا أو شيوخ قبائل أو رموز دينية.

وإذا أخذنا شكيب أرسلان نموذجاً لذلك فإننا نرى أنه قد آمن بقدرة الإسلام على استيعاب المدنية الغربية وقدرة العرب على الاضطلاع بدور الوحدة الإسلامية والتصدي للمخطط الاستعماري، فتحت عنوان (لماذا تقدّم الغرب وتأخّر العرب؟) حاول أرسلان الإجابة -كما حاول آخرون في سؤال النهضة الذي شغل رُواد حركة النهضة- وصفاً الاستعمار البريطاني والفرنسي والروسي بالبربرية، واضعاً أسساً عدت جزءاً من الدعاية الألمانية المستندة إلى الإرث الاستشراقي، معتبراً ألمانيا دولة ساعية إلى الوجود الحرّ للشعوب وأنها دولة مخلصّة للإسلام. ففي رحلة القيصر الألماني فيلهلم لبلاد الشام 1898، رافقه أرسلان بناء على رغبة السلطان عبد الحميد، وبقي على نفس نهجه الداعي إلى التحالف مع ألمانيا طالما البريطانيون والفرنسيون يمارسون سياسة الاضطهاد ضد البلدان الإسلامية، مؤكّداً أنّ الإمبراطورية العثمانية بالرغم من ضعفها تمثل رمزاً جامعاً للمسلمين والعرب لمقاومة الهيمنة الغربية، وهذا لن يتم إلا بتكاتف العثمانيين مع الألمان (سنو 2007: 110-111؛ شيا 1979: 11). كتب أرسلان مقالاً في شهر آذار سنة 1913 قبل اندلاع الحرب الكونية الأولى في جريدة الشعب بمصر عنوانه: "نار أوروبا من شرارة البلقان"، تنبأ فيه بالحرب الكونية التي ستنتقل من

البلقان؛ حيث إنَّ الحرب القادمة لن تقارن بالحرب البلقانية 1912-1913، متحدثاً عن تيارين رئيسيين في السلطة العثمانية متنازعين ما بين التحالف مع دول الوفاق أو ألمانيا، وكان من مؤيدي التحالف مع الألمان ودافع بصرامة عن هذا الخيار (أرسلان 2008: 80-82؛ المولى 1916: 490-496). ومما قاله إنه يفضلُ نازِ العثمانيين على خير الأوربيين (أرسلان عند: الحكيم 2010: 23)

وكيِّدُ على الأتراك مصوّبٌ
ولكن لصيد الأمتين حبائله
وسيعلمُ قومي أنني لا أعشهم
ومهما استطال الليلُ فالصبحُ واصلهُ

استطاعت الآلة الاستشراقية الألمانية الاستفادة بشكل كبير من هذا الموقف الذي مثَّله رُود الحركة العربية، وبنيت عليه فكرة التحالف والدعاية الألمانية؛ فقد عدَّ أوبنهايم أرسلان صديقه العزيز، ووصفه بأنَّه رجلٌ جديٌّ ومستقلٌّ ومثقَّفٌ وذو نفوذ واسع في كل أنحاء سوريا. وعملت الدعاية الألمانية على ترويج أفكار أرسلان وتعزيزها لدى السلطات العثمانية ونشرها على صعيد واسع في بلاد الشام وفي الدوائر الألمانية والصحافة الألمانية. وبدأ كُتَّابُ ألمان وعلى رأسهم هارتمان بالكتابة حول ضرورة تقريب رُود القومية العربية؛ خوفاً من استمالة فرنسا وبريطانيا لهم من جهة وسخطهم من ممارسات جمعية الإتحاد والترقي ضد الأقليات من جهة أخرى (سنو 2007: 112).

شكَّل الاستشراق الألماني، سواء عبر النقاش في المسائل العلمية أو بالتوظيف الاستعماري، قاعدة مهمَّة في ذهنية صانع القرار الألماني وممارسات عملية رسمت ملامح التحالف، وتحولت الأفكار الفلهلمية من سياسة الاندفاع نحو الشرق إلى سياسة تقوية الإمبراطورية العثمانية لتكون سداً أمام الأطماع الفرنسية والبريطانية والروسية، وأن إمكان المحافظة على المصالح الألمانية لن يتمَّ إلا عبر دولة عثمانية معتمدة على الحماية، وهو الأمر الذي تعزَّز لدى النخبة الحاكمة وحتى في أذهان الإصلاحيين والشعوب الخاضعة للحكم العثماني، لتعيد الأزمة البلقانية فكرة التحالف من جديد، ويجري توظيف أفكار بيكر وهارتمان ومن خلفهم المدرسة الاستشراقية الألمانية في هذا الاتجاه "الفهم المعاصر لواقع المجتمعات الإسلامية" لتتمكن من تمرير مشروعها الثقافي القائم على تعزيز روح العلمانية وإبعاد تلك المجتمعات التي وصفها هارتمان بسبب إسلامها بأنها مجتمعات بربرية، وأكدها بيكر بقوله: "... أعتقد أن التوسُّع الألماني ليس في المسائل التجارية حسب، وإنما في الأشكال الثقافية أيضاً...، كيف حققت كلُّ من إنجلترا وفرنسا هيمنتها في آسيا؟..." (بيكر عند: مارشاند 2020، ج2: 67).

عمل إيرنست جاك Ernst Jäckh 1875-1959، أو ما أطلق عليه بجاك التركي، المستشرق والصفي والسياسي، الذي ركَّز دراسته على الإمبراطورية العثمانية وشغل كرسي الأستاذية في التاريخ التركي في جامعة برلين سنة 1914، على تأطير فكرة التحالف الألماني العثماني، راسماً صورة براءة لصانع القرار الألماني عن النظام الجديد وتركيا الحديثة؛ حيث عدَّ أهم صانعي الدعاية الألمانية في الشرق، بخاصة في الإمبراطورية العثمانية (Özçalk 2020: 201-204)، وتجوَّل في الأراضي العثمانية وألَّف كتاباً نُشر سنة 1911 بعنوان "الهلال الصاعد: في الطريق إلى التحالف الألماني التركي" (Jäckh 1916). عمل جاك على الترويج لفكرة أن الدولة التركية الحديثة قادرة على إحداث التغيير المطلوب، وأن المسلمين شعب نبيل متسامح. فالصحف المتأثرة بوزارة الخارجية الألمانية، مثل صحيفة Vossische Zeitung وNeckar-Zeitung تبنت رؤية جاك للمستقبل مع العثمانيين وروجت لحزب الاتحاد والترقي بوصفه حركة تحديثية قادرة على التأثير في السياسة العثمانية التي من شأنها تجنب البلاد الصراع الديني عبر تحويل الإمبراطورية إلى دولة

علمانية عقلانية. أيد فريدريش ناومن 1860-1919م³ Friedrich Naumann توجهات صديقه في الرايخ ستاج (البرلمان) إيرنست جاك وقربها من دوائر صنع القرار في أعلى مستوياتها (Gummer 2010: 269-270).
 فعملية الإحياء لفكرة الجامعة الإسلامية التي عمل الألمان عليها في العهد الحميدي جرى استبعادها مع الثورة الدستورية، وتبنت المدرسة الاستشراقية الألمانية الدفع بعلمنة الدولة العثمانية على النموذج الألماني، وسيطرة ألمانيا شبه المطلقة على الفضاء الاقتصادي والعسكري، وبناء علاقات وصلت إلى حد التحالفات القوية مع النخبة الحاكمة بخاصة مع وجود الفساد المستشري في مفاصل الدولة؛ مما شكّل القاعدة الأساسية للتحالف، إلا أن فكرة التحالف كان ينقصها المخطط والقالب، بخاصة أن رياح الحرب الكونية الأولى قد هبّت، فالفهم الاستشراقي المعاصر للمجتمعات الإسلامية والكُمّ المعرفي المتراكم قاد إلى تغييرات كيميّة قادها بيكر بعد تسلّمه المعهد الاستعماري Deutsches Kolonial-Institut، ودفع باتجاه السيطرة والاستغلال، وتحول إلى فعل استخباري قائم على تقصي البيانات والمعلومات وجمعها عن القوى الاجتماعية المؤثرة. ومع اقتراب الحرب العالمية الأولى تشكّل مكتب الدعاية الشرقي Nachrichtenstelle für den Orient (NfO)، الذي أسند إلى أوبنهايم والتحق به العاملون في الحقل الاستشراقي (Krug 2020: 42-55). ليعمل كل من هارتمان وبيكر وأوبنهايم على رسم فلسفة جديدة للمعهد؛ حيث تأثراً بالمدرسة الاستشراقية الفرنسية والبريطانية في تأكيد دور الاستشراق في التغلغل وتحقيق المصالح العليا للأمة الألمانية (Avcı 2019: 480-485; Herman 2014: 11-12; Berman 2011: 160).

3. مذكرة أوبنهايم أساس التحالف الألماني-العثماني.

شكّلت طروحات أوبنهايم، المنغمس انغماساً كلياً في المشروع الإمبريالي الألماني منذ فترة طويلة في العالم الإسلامي وعلى وجه الخصوص في القاهرة وإسطنبول، تعبيراً عن تلاقح المشروع الاستشراقي مع المشروع الاستعماري، فمهندس خطابات الإمبراطور الألماني في دمشق 1898، وواضع التصوّرات الأولى لفكرة التوظيف الديني لسلطة السلطان العثماني عبر الجامعة الإسلامية والحماية الألمانية للإمبراطورية العثمانية، كان قد جال بفكره منذ فترة طويلة بتوظيف كراهية المسلمين للاستعمار البريطاني والفرنسي والروسي، في دعم التوجهات الاستعمارية الألمانية - وهذا ما عولج في السابق - بحيث إن المدرسة الاستشراقية الألمانية - وعلى رأسها بيكر وأوبنهايم - قد شكّلت تلك القناعة لدى الإمبراطور الألماني فيلهم بضرورة التحالف مع الإمبراطورية العثمانية وإيصال رسالة للبريطانيين بأن الحرب مع ألمانيا تعني خسارتهم للهند (Fischer 1971: 139).

تأتي مذكرة أوبنهايم الأولى بتاريخ 18 آب 1914 - الذي أطلق عليه الأب الروحي للجهاد الإسلامي، ولورنس القيصر تشبيه له بلورنس العرب البريطاني - إلى المستشار الألماني بثمان هولفيغ von Bethmann Hollweg التي أشار فيها إلى إمكانات التحالف مع الإمبراطورية العثمانية وتوظيف الجهاد ضد أعداء الإمبراطورية الألمانية (Fischer 1971: 139-140)، التي أتبعها بمذكرة تفصيلية تألفت من 126 صفحة تحت عنوان "مذكرة في

³ كان سياسياً ليبرالياً ألمانياً وقمّاً بروستانتياً. في عام 1896، أسس الحزب الوطني الاجتماعي الذي سعى إلى الجمع بين الليبرالية والقومية والاشتراكية والقيم المسيحية البروتستانتية، واقترح الإصلاح الاجتماعي لمنع الصراع الطبقي. قاد الحزب حتى اندماجه في الاتحاد الحر في عام 1903، وكان عضواً في الرايخ ستاج البرلمان الألماني ما بين 1907-1918. عُرف بتعاطفه الشديد مع الأتراك ودعمه لتكريا الفتاة، وسجّل مواقف مهمّة من الثورة الدستورية 1908، وكان مدافعاً شرساً عن الانقلاب الذي قاده الاتحاديون سنة 1909، مؤسس صحيفة Die Hilfe . للمزيد، انظر: (Kedar 2013 vol. 34 no. 2: 324-349; Schraeppler 1996: 84-89).

تثوير أراضٍ المسلمين ضد أعدائنا". ومن الجدير ذكره أن المذكرة قد صدرت قبل فترة وجيزة من دخول العثمانيين للحرب في تشرين أول سنة 1914، وأنها كانت مشبعة بالأفكار الخيالية للمستشرقين حول الإمكانيات التي يمكن أن يحدثها السلطان العثماني بوصفه خليفة المسلمين، وعبرت عما أشرنا إليه بالتغلغل الناعم في مفاصل الإمبراطورية العثمانية وتحولات المدرسة الاستشراقية لدراسة الواقع المعاصر للعالم الإسلامي والاستفادة من النعمة العامة والشعور العام للمسلمين من القوى الاستعمارية التقليدية، ويمكن إبراز أهم ما جاء في المذكرة بالآتي:

- I. عدّ أوبنهايم الشرط الأساسي لنجاح خطته تأكيد سلطة السلطان العثماني كخليفة للمسلمين، والقيام بالدعاية باسمه عبر استغلال إعلان الجهاد المقدّس، مع وجود مؤسسة واحدة تكون مسؤولة عن الدعاية في تثوير العالم الإسلامي. فعلى الألمان أن يقدّموا الدعم الكامل للأتراك: الرجال، السلاح والأموال، فلا يمكن الوصول إلى نتائج مرضية إلاّ عبر توفير مصادر كبيرة. وهذا لن يتم إلاّ عندما تغزو تركيا مصر وتتدلع الثورات في الهند، عندها تجبر بريطانيا العظمى على الخضوع والاستسلام، فبريطانيا سوف تجبر على سحب جزء كبير من قواتها وأسطولها للدفاع عن الهند ومصر، وسيجبرها الرأي العام على أقل تقدير لوضع سلام على طريقتنا (Oppenheim 1914: 2).
- II. تقدّم المذكرة خططاً عملية لبناء ماكنة دعائية يديرها الأتراك والألمان بسيطرة ألمانية دون أن يشعر الأتراك بذلك. يكون هدف الدعاية تأكيد النصر الألماني في الحرب وتحشيد المسلمين بخاصة في المناطق التي يسيطر عليها البريطانيون والفرنسيون والروس. تنشأ وحدة استخبارات خاصة مقرّها برلين برئاسته، يلحق فيها العاملون في الحقل الاستشراقي ومحاضرون أجانب، وتصدر نشرات بكل اللغات ذات الصلة، وتستفيد من جميع القنصليات في الشرق وتضاعف موازنتها، وكذلك العاملين في الحقل الدبلوماسي ورجال الأعمال الألمان، وتنشئ مراكز للقراءة ونشر الأخبار في المراكز الرئيسية (Oppenheim 1914: 8-9).
- III. تقدم المذكرة وصفاً شاملاً لأحوال العالم الإسلامي من الهند وحتى شمال أفريقيا، سواء كانوا سنّة أو شيعة، مع تفصيلات تتعلّق بالحركات الإسلامية في مصر والسودان والعراق وحتى الهند. وفي ما يتعلق بالهند اقترح أوبنهايم قيام حلف يضمّ بلاد فارس وأفغانستان والدولة العثمانية باستخدام الطريق البري عبر هذه الدول ضد بريطانيا في الهند، ويسبق هذا الحلف اتفاقية بين العثمانيين وبلاد فارس لضمان نجاح المشروع، مع العمل على تثوير المسلمين في الهند. وفي الوقت نفسه القيام بهجوم تركي بمساعدة البدو بهدف السيطرة على قناة السويس؛ حيث أشار إلى أنّه لا يمكن التعويل على المصريين لأنهم بحاجة إلى من يقودهم (Oppenheim 1914: 58ff.).
- IV. شكّك أوبنهايم في مذكرته بالمسيحيين في جورجيا وأرمينيا متهمًا إياهم بأنهم يستحقون وصفهم بالمتأمّرين والجبناء، مشيرًا إلى أنه عند إغلاق المضائق وتدمير الأسطول الروسي في البحر الأسود فإن الشعوب الإسلامية التي يسيطر عليها الروس سوف تثور ضد الحكم القيصري، مشيرًا إلى ضرورة تدمير حقول النفط في باكو (Oppenheim 1914: 70ff.).
- V. في ختام المذكرة حدّد أوبنهايم أن الإسلام سوف يكون أهم أسلحتنا في الصراع المفروض على ألمانيا، فبهذا العمل نكون قد فرشنا الأرضية لثورة إسلامية شاملة، والإمبراطور الألماني يدرك هذه الفرصة؛ فهو يتمتع بسمعة واحترام كبيرين في العالم الإسلامي بعدما ثبت تبجيله واحترامه للإسلام والمسلمين. وأضاف أوبنهايم أن العشرين سنة التي قضاها في الشرق تجعله مقتنعًا أن الإمبراطور يحظى بمكانة خاصة في قلوب المسلمين (Oppenheim 1914: 125-126).

يجد المتأمل في المذكرة أنها مغرقة بالفكر الاستعلائي الغربي نحو الشرق، وملئة بالعبارات العنصرية الفوقية لشعوب الشرق، وتؤكد أن الألمان ما كانوا مهتمين إلا بمصالحهم ومجهودهم الحربي، وهذا ما دفع المستشرق الهولندي سنوك⁴ C. Snouck Hurgronje للتأكيد بأن الجهاد المقدس صنع في ألمانيا، في مقالة نشرها في المجلة الاستشراقية الهولندية Dutch journal De حيث فيها المسؤولية للمستشرقين الألمان بخطر استخدام الدين سلاحاً في الحرب (Snouck 1915). وقد انعكس مثل هذا الخطاب في الدوائر السياسية الألمانية، بحيث أضحى التحالف واضح المعالم قبل إعلان دخول الإمبراطورية العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا؛ فقد علق الإمبراطور الألماني على مذكرة وصلتته من الجنرال الألماني فون ساندرز 1855-1929م Otto Liman von Sanders المقيم في إسطنبول، وأبدى رغبته بالعودة في حال اندلاع الحرب، بالقول: "عليكم البقاء وشن الحرب، وإضرام الثورة ضد بريطانيا...، ألا تعرف حول التحالف القادم الذي عليك تولي قيادته... على قناصلنا وعملائنا في تركيا والهند تحريض كل العالم الإسلامي من أجل الثورة الضارية ضد هذا التاجر الصغير والمكروه وعديم الضمير، فعندما ننزف نحن فعلى بريطانيا أن تخسر الهند على الأقل...". (سنو 2007: 87؛ Fischer: 139-141). لم يقتصر هذا الانعكاس لمثل هذا الخطاب على الإمبراطور؛ فقد بين رئيس أركان الجيش الألماني H. von Moltke ضرورة إحداث تمرد في الهند ومصر والقوقاز، والدور الذي يمكن أن تلعبه وزارة الخارجية لتحريض العالم الإسلامي. ومن جانب آخر أضحى الخطاب الاستشراقي يسير جنباً إلى جنب مع التطورات المتسارعة تجاه الحرب... (سنو 2007: 88).

كانت أفكار أوبنهايم ومذكرته قد طرحت فكرة وجود جهة تنسق الجهود الدعائية الألمانية بالدرجة الأولى في المشرق العربي والمسلمين عامة الخاضعين للاستعمار البريطاني والفرنسي؛ فقد كان أوبنهايم مسكوناً بفكرة "ال خليفة" في الخيال الاستشراقي بوصفه مسؤولاً عن رئاسة الدين والدنيا، وهو الذي بيده إعلان الجهاد ضد أعداء الدين وأعداء الأمة؛ لذا كان تأسيس دائرة إعلامية "وكالة أخبار الشرق" في وزارة الخارجية وإشراف وزارة الدفاع هي العمل الأول في إطار المشروع الألماني لتثوير المسلمين، إلا أنه لا يوجد تاريخ محدد لنشأة الدائرة وبداية نشاطها وآلية عملها وبرنامجه عند تأسيسها، فقد أوكلت المهمة إلى أوبنهايم الذي كان أول رئيس لها؛ حيث عمل على حشد عدد من أعلام الاستشراق الألماني للعمل بها، وقد بدأت بموازنة متواضعة جداً، نحو خمسة آلاف مارك ألماني، ومهام عمومية تطورت بتطور جبهات القتال وقدرتها على استقطاب شخصيات عربية وإسلامية لها تأثير في مجتمعاتها، ويمكن إجمال مهامها بتنسيق الجهود والعمليات الدعائية وتقوية مشاعر الصداقة بين الألمان وشعوب الشرق بهدف تطوير المصالح والمنافع المتبادلة والتصدي لدعاية العدو والحصول على المعلومات وجمعها وتحليلها الصحف والنشرات وإصدارها والترويج لدى الشعوب الإسلامية بأهداف وعدالة حرب دول الوسط: ألمانيا والنمسا-هنغاريا، والإمبراطورية العثمانية (7: 2004; Schwanitz; Fischer 1971: 140-141; Krug 2020: 42-52; سنو 2007: 87-91).

⁴ سنوك 1857-1936م، الرحالة والمستشرق وعالم اللغات الهولندي، الذي أتقن العربية في جدة، زار مكة تحت عباءة اعتناقه للإسلام، وألف كتاباً حولها في مجلدين، وله أيضاً كتاب حمل عنوان (المحمدية: محاضرات في أصولها وتطورها الديني والسياسي، ودولها الحالية). وظف معرفته الاستشراقية لخدمة الآلة الاستعمارية الهولندية، وتدرّب على يديه العديد من العاملين الهولنديين في المستعمرات، ووظف معرفته الدقيقة في الشؤون الإسلامية في القضاء على المقاومة الإسلامية في سلطنة آشي Aceh حالياً أندونيسيا، التي راح ضحيتها الآلاف من الشهداء، فقد دخل إلى سلطنة آشي جاسوساً تحت اسم الحاج عبد الغفار؛ حيث أقام لمدة سنة استطاع خلالها التعرف إلى كبار علماء وفقهاء ورجال السلطنة. والغريب أن ما قام به من استخدام للفتوى الإسلامية بالتحايل على صديقه المفتي الأكبر-لاندونيسيا الواقعة تحت الاستعمار الهولندي في تلك الفترة حبيب عثمان بن يحيى العلوي 1882-1913م، الذي تعود أصوله العربية إلى مكة، لصالح الهولنديين ضد المقاومة، هو نفسه من عاب على بيكر وأوبنهايم ذلك. للمزيد، انظر: (فوك 2014: 242-244؛ بدوي 2011: 353-355).

4. إعلان التحالف الألماني-العثماني-الجهاد 1914.

وضعت الحرب البلقانية الأولى والثانية 1912-1913م حكومة حزب الاتحاد والترقي في موقف لا تحسد عليه على المستويين المحلي والدولي؛ فقد اختزلت هذه الحرب الدولة العثمانية إلى بُعدها الأناضولي والعربي فسلطة المذابح التي طالت كل الجماعات السكانية في البلقان: البلغار يذبحون اليونانيين والصرب والمسلمين؛ الصرب يذبحون البلغار والمسلمين، واليونانيون يذبحون المسلمين والجماعات السلافية المختلفة، فالجميع يذبح المسلمين الذين لم يكن أمامهم خيار سوى الذبح أو التهجير، ف 62% من سكان الروميلي (سكان تركيا الأوروبية) قد ذبحوا أو أرغموا على الهجرة؛ مما عزز البعد الإسلامي للجماعة السكانية الأناضولية، وهذا أدى إلى مفاوضات بين اليونان والدولة العثمانية بدأت سنة 1914، لتبادل الجماعات السكانية. ويظهر جلياً خارج الإطار البلقاني تحولات في الامتيازات والاحتكارات التجارية الخاصة بالشرق العربي فيما بين الدول الكبرى، لتجد الدولة العثمانية نفسها وسط تنافس شرس على أملاكها؛ فروسيا تدعم بناء دولة أرمنية على حساب الأناضول التركي، وبريطانيا وفرنسا تتنافسان على امتيازات النفط في سوريا والعراق، وألمانيا اللاعب المتغلغل في مفاصل الدولة العثمانية قد أضحت أقرب ما تكون للتحالف مع الدولة العثمانية، وباتت المسألة الشرقية محور الصراع والتنافس حتى فيما بين المتحالفين أنفسهم (لورنس 2018: 268-270).

ففي إطار اصلاح الجيش العثماني تتجج ألمانيا في السيطرة على مراكز القوى داخل الجيش بتعيين أوتو ليمان فون ساندرز رئيساً للبعثة العسكرية الألمانية المؤلفة من 40 ضابطاً، وقائداً للفيلق العثماني الأول المسيطر في مضائق البسفور والدردينل في 4/ كانون أول 1913؛ حيث عمل على إعادة هيكلة وبناء وحدات الجيش والأسطول العثماني، بخاصة في البحر الأسود والسواحل المقابلة لليونان (Trumpener 1966: 179-180). وقد أثار هذا التعيين حفيظة الدول العظمى، بخاصة روسيا، التي رأت فيه إفشالاً لمشروعها بالسيطرة على المضائق، وفيه تفوق عثماني بخاصة في مجال التسليح والتقارب مع ألمانيا؛ مما دفع المسؤولين الروس إلى التفكير في حرب استباقية (لورنس 2018: 276-277).

دخول تركيا الحرب كان مقاومة كبيرة رأت فيها جماعة الاتحاد والترقي الفرصة المحتملة للخروج من كل التحديتات الداخلية والخارجية وكل الهزائم المتلاحقة التي بدأت مع تسلّمهم السلطة؛ فقد عقد أنور باشا صديق الألمان اتفاقية سرية لم يعلم عنها سوى ثلاث جهات: السلطان محمد رشاد 1884-1918 والصدر الأعظم والألمان، تعهدت فيها بالدخول إلى جانب دول الوسط إذا دخلت روسيا في الصراع النمساوي-الصربي. بعدها سارت الدولة العثمانية بالاندماج الكامل بالمشروع الألماني الذي كان نتيجة طبيعية للتغلغل السلمي والناعم للألمان في مفاصل الدولة العثمانية؛ فقد أعلنت إلغاء الامتيازات الأجنبية التي طالما أرقت الساسة العثمانيين تاريخياً، وقررت دخول الحرب رسمياً في 30 تشرين الأول سنة 1914 بمهاجمة الموانئ الروسية على البحر الأسود؛ مما دفع الأخيرة إلى الرد بإعلان الحرب في الثاني من تشرين الثاني، ولحقت بها فرنسا وبريطانيا في الخامس من تشرين الثاني (Marianne 1984: 225-226).

تكمّن الإشكالية في تحديد يوم إعلان الجهاد ما بين 2-23 تشرين الثاني 1914، الذي حاولت فيه دول الحلفاء ومؤرّخوها القول "إنه صنع في ألمانيا" استناداً إلى ما ذكره سنوك في كتابه الذي حمل العنوان نفسه، أو الكتاب المعاصرين للحدث الذين ذهبوا في اتجاهات مختلفة خارج سياق مفهوم الجهاد نفسه، الذي يمثل حالة المقاومة أو الهجوم في دفع العدو، وهو مالم يستوعبه أغلب المستشرقين في تعاطيهم مع الجهاد والتميز ما بين الجهاد الأكبر والأصغر في بذل أقصى الجهد والطاقة إلى إعلانه في مقاومة المحتل أو كونه حالة ينفرد بها من كان في ولاية الأمر؛ فقد عبّر المخيال الاستشراقي للحلفاء عن ذلك بأنّ من أعلن الجهاد هو الحاج محمد فيلهلم الثاني الذي ادّعى الإسلام

وحماية المسلمين، وهو من تخطيط المستشرق الألماني أوبنهايم -مذكرة أوبنهايم- (Bird 1919: 982)، فما حدث يرتبط بالهجوم العثماني على الموانئ الروسية في 30 تشرين الأول الذي عدّ في وقته إعلانَ جهاد، ثم إعلان السلطان محمد رشاد رسمياً عبر 5 فتاوى وقعها 29 مرجعاً دينياً وباركها السلطان رسمياً، ليرسل بعدها إلى أعضاء مجلس المبعوثان العثماني، ولتُقدّم في حفل مغلق اقتصر على كبار الشخصيات السياسية والعسكرية والدينية في 11 من تشرين الثاني، وفي يوم السبت 14 تشرين الثاني أعلنها حيدر أفندي -وليس شيخ الإسلام- علناً وسط حشد كبير في ساحة مسجد محمد الفاتح في القرن الذهبي أحد أحياء إسطنبول. (Aqsakal 2011 vol. 18, no. 2: 184-185) في حين أن المستشرق المعاصر جوتفريد هاجن تناول الحدث بقوله: "في 14 نوفمبر 1914 ... كانت القسطنطينية لا يزال هناك من يصر على أنها القسطنطينية مسرّحاً لسلسلة من الأحداث العامة المميزة؛ فقد تجمّع حشد أمام السفارة الألمانية في بيرلا، الذين جاؤوا من مسجد محمد الفاتح؛ حيث جرت قراءة فتوى جديدة لشيخ الإسلام، التي أعلن فيها المشاركة في الجهاد... سارت مسيرة على ظهور الخيل في شوارع العاصمة، على ما يُزعم أنه تقليد لعصر النبي محمد، وتضمّنت امرأتين لتمثيل عائشة زوجة محمد، صلى الله عليه وسلم، ومرافقتها، الذين جرى الترحيب بهم في وزارة الحرب ومقرّ الصدر الأعظم..." (Gottfried Hagen 2004: 45). لم يكن العثمانيون بحاجة إلى التملق الألماني لإقناعهم بمزايا إصدار إعلان الجهاد عام 1914؛ فاستخدام الدولة "الجهاد" كان بهدف حشد دعم رعاياها المسلمين في زمن الحرب؛ فقد كانت هذه السياسة موجّهة بشكل خاص إلى السكان العرب في الإمبراطورية، الذين حاول البريطانيون التودّد لقادتهم؛ لذا سعت الدولة إلى تأمين ولائهم بإعلان الجهاد (Kayali 1997: 187).

يُذكر أن أوبنهايم في مسألة كسب ودّ العرب قد نبّه في تقاريره مع مطلع الحرب إلى أن هناك مساعي حثيثة تبذلها بريطانيا لكسب الشريف الحسين بن علي شريف مكّة وأميرها إلى جانب دول الوفاق: بريطانيا وفرنسا، وروسيا؛ حيث قال: "مكّة جديدة تحاول بريطانيا عملها". وبدا للساسنة الألمان أن هناك أدلة تظهر ميل الشريف لصالح البريطانيين، إلّا أن أوبنهايم قلّل من هذه المخاوف واعتبرها جزءاً من دسائس رجالات الدولة العثمانية، على اعتبار معرفته بعلاقة الشريف الحسين مع خديوي مصر المخلوع عباس حلمي المتعاطف مع الألمان (الذبحاوي 2018 ع 48: 415-416). "كانت الحرب العالمية الإمبريالية نتيجة للسياسة العالمية الألمانية، وهذه بدورها كانت نتيجة للتطور الإمبريالي الذي اجتاحت العالم...". هذا ما ذكره المؤرّخ الألماني فايت فالنتين Veit Valentin وأضاف: "... لم يصعب على أجهزة الدعاية الوطنية النشطة أن تنشر صورة وردية مشرقة عن الأوضاع المزرية القائمة، وطعناً في وطنية كل من حدّر أو تجرّأ على ممارسة الانتقاد..." (فالنتين 1994: 391، 393). فخلال الفترة السابقة للحرب انشغلت المدرسة الاستشراقية الألمانية بقضية التعلل السلمي الناعم في مفاصل الدولة والسيطرة عليها، ووضعت تصوّراتها حول مستقبل الرجل المريض "المسألة الشرقية" بقراءات تعلقّت كما رأينا بدراسة الواقع المعاصر للمجتمعات الإسلامية خدمة للمصالح الاستعمارية، ففريدش روزن Friedrich Rosen 1856-1935م، الذي تميّزت حياته ما بين الاهتمامات السياسية وممارسة سلطة المعرفة والدراسات العلمية الرصينة بخاصة معرفته الدقيقة بسياسة بريطانيا في الهند وانغماسه الكامل بالثقافة الفارسية والشرقية، وجد فرصة له ليرافق صعود وانهايار الإمبراطورية الألمانية ودخولها حلبة الصراع الدولي؛ فقد قال بعد نهاية الحرب العالمية الأولى إنّ سياسة الاندفاع نحو الشرق التي مارستها ألمانيا وخوضها الحرب كانت مستوحاة بشكل رومانسي من كتاب "روايات المغامرات الشرقية" لكارل ماي 1842-1912م، Karl Friedrich May، وتعدّدت بجشع عبر سكة حديد برلين-بغداد. كان فريدريش روزان من أوائل المستشرقين الذين حدّروا من تبني سياسة

الجامعة الإسلامية والجهاد الإسلامي في عدّة مناسبات سنة 1904م، ولا يعني هذا أنه لم ينخرط في خدمة مصالح بلاده خلال الحرب (Theilhaber 2020: 392).

النتائج:

خلصت الدراسة إلى أن مرحلة 1910-1914 هي المرحلة الثانية للانطلاق الألماني الثاني نحو الشرق التي تبناها فيلهلم منذ توليه السلطة، وانتهت بنموذج تحالفي بقالب الحرب المقدسة "الجهاد" بتوريط الإمبراطورية العثمانية بالدخول بحرب كانوا هم ضحيتها الكبرى. وتأكيد فرضية الدراسة بأن المدرسة الاستشراقية أسهمت بشكل مباشر وغير مباشر في صياغة أسس التحالف الألماني-العثمان؛ لذا فالدراسة تؤكد ما يأتي:

1. أدت المؤسسات الاستشراقية بحولياتها ودور نشرها وصحفها والمستشرقون الألمان دورًا في بث روح القبول للتحالف مع دولة مسلمة في الرأي العام الألماني ولدى صانع القرار السياسي، وأسهمت في إعداد الكوادر اللازمة للعمل في المستعمرات، وتوظيف المعرفة الاستشراقية خدمة للمصالح الاقتصادية في الدولة العثمانية، واندفاع ألمانيا نحو الشرق؛ حيث ظهرت تناقضات ظاهرية في الموقف الألماني من الأزمات التي تعرّضت لها الدولة العثمانية: الثورة الدستورية، وخلع السلطان عبد الحميد، والاحتلال الإيطالي لليبييا، والأزمة البلقانية، والاستعمار الفرنسي للمغرب؛ إذ تعاطت معها وفقًا لمصالحها وتحالفاتها.
2. اكتسى الخطاب الاستشراقي حُلَّةً جديدة ابتعدت عن فكرة الجامعة الإسلامية في عهد عبد الحميد الثاني، فأصبح يتبنى خطابًا علمانيًا قائمًا على فكرة الخليفة كرمز ديني بعيدًا عن السلطة السياسية، وتأثيره في المسلمين بوصفه حامى الشرع ومستنهض الهمم، وبخاصة في المستعمرات البريطانية والفرنسية. في حين نظر رُواد الحركة العربية إلى الجهاد بوصفه مقاومة مشروعة لطرد الغازي والمحتل؛ لذا فدعمهم للألمان كان على أمل التحرر من الاستعمار وليس استبدال مستعمر بآخر.
3. تؤكد الدراسة أن الجانب العلمي للاستشراق قد جرت تحييته برؤية جديدة قائمة على الفهم المعاصر لواقع المجتمعات الإسلامية؛ إذ حدثت له نقلة نوعية مع رُواد تلك المدرسة: بيكر، وهارتمان، وأوبنهايم؛ حيث نجد أن الجهد الاستشراقي تحوّل إلى جهد استخباراتي ومجهود يصبُّ في مصلحة آلة الحرب الألمانية ويقود التوجّهات السياسية للدولة وينخرط في المشروع الاستعماري بشكل كلي.
4. دأبت مذكرة أوبنهايم المتعلقة "بتثوير العالم الإسلامي" مخيال الغرب للشرق، وتلك الصورة المتهومة عن الشرق وفقًا للنظرة الاستعمارية، التي كانت في أغلبها نظرة استشراقية بعيدة عن واقع الشعوب الإسلامية؛ حيث انعكست تلك المذكرة على صانع القرار الألماني في أعلى مستوياته لتكون أساسًا للتحالف المشبع بالأفكار الاستشراقية والأطماع الاستعمارية.
5. تؤكد الدراسة التوظيف الاستعماري لمفهوم الجهاد المقدّس خدمة لمصالحها وأطماعها في الشرق.

The Role of the German Orientalist School in Establishing the German-Ottoman Alliance. 1910-1914

Amjad Ahmed Alzoubi * ✉ ID

ABSTRACT

The German Orientalist School accompanied the emergence and development of the German state, leading to the emergence at the beginning of the 20th century of what became known as the study of contemporary Eastern societies with the aim of penetration, control, and colonization. This study addresses this dimension by explaining the role of German Orientalism in building the German-Ottoman alliance within its temporal and spatial boundaries, relying on a historical and critical approach by returning to primary sources and references. The study addresses the topic by discussing the efforts of Orientalists and Orientalist institutions, explaining their discourse, and linking it to the development of events within the Ottoman Empire. It also addresses the idea of the Islamic caliphate in the German Orientalist project, which began in the Hamidian period through the Islamic League project, and how it shifted to the adoption of the secular state project during the period of the Committee of Union and Progress, only to return during the period of study to the idea of the sultan “caliph” capable of revolutionizing Muslims in the French and British colonies, through a memorandum presented by the German Orientalist Max Oppenheim to the German emperor and government, so that the German-Ottoman alliance and the declaration of jihad would be the fruit of this Orientalist effort. The study concluded that German Orientalism was fully engaged in the German expansionist and imperialist project during this period.

Keywords: *Orientalism, Alliance, Committee of Union and Progress, Holy Jihad, World War I.*

* Department of Basic Human Sciences, Faculty of Arts and Educational Sciences, Philadelphia University, Jordan.

✉ Corresponding author: aalzoubi@philadelphia.edu.jo

Received on 30/10/2024 and accepted for publication on 3/2/2025.

المصادر والمراجع العربية

- بدوي، عبد الرحمن (2011)؛ موسوعة أعلام المستشرقين، عمان: مكتبة الاسرة- وزارة الثقافة.
- بطراوي، مصطفى (2017)؛ "الموقف الألماني من القضية المغربية في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين".
مجلة الحكمة للدراسات التاريخية، مج 5، ع 11، 246-257.
- الحكيم، ناصر (2010)؛ *جدلية الفكر والعمل عند الأمير شكيب أرسلان: دراسة تاريخية فكرية نقدية*، بيروت: الدار التقدمية، ط1.
- حوراني، إلبرت (1977)؛ *الفكر العربي في عصر النهضة 1798-1939*، ترجمة كريم الزغول، بيروت: دار النهار للنشر والتوزيع، ط4.
- الذبحاوي، مصطفى والغانمي، فرقان (2018)؛ "دور المستشرق ماكس فون أوبنهايم في الدعاية الألمانية للحرب المقدسة 1915-1918".
مجلة الكلية الإسلامية الجامعة، ع 48، 415-440.
- رؤوف، عماد (1986)؛ "الجمعيات العربية وفكرها القومي: ملامح الوعي القومي عند العرب من بداية القرن التاسع عشر حتى اندلاع الحرب العالمية الأولى".
103-135، في: *الندوة الفكرية تطور الفكر القومي العربي*، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- الزعبي، أمجد (2019)؛ "الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانية: دراسة في وظائف وأدوار الاستشراق الألماني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر".
مجلة دراسات العلوم الإنسانية الاجتماعية، مج 46، ع 1، ملحق 2، 357-369.
- سعيد، إدورد (2006)؛ *الاستشراق: مفاهيم غربية للاستشراق*، ترجمة محمد العناني، القاهرة: دار رؤية للنشر، ط1.
- سنو، عبد الروؤف (2007)؛ *ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين*، بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، ط1.
- شيا، محمد (1979)؛ "الأمير شكيب أرسلان ومشكلة العلاقة مع الغرب".
في كتاب: *الأمير شكيب أرسلان وتحديات النهضة 1869-1946*، مج 5، ع 35-36، 281-288، بيروت: جريدة الأنباء.
- الشيباني، سلطان (1915)؛ *قاسم بن سعيد الشماخي رائد الصحافة الإباضية*، مسقط: المكتبة السعدية.
<https://alsaidia.com/node/473>
- عبد الملك، أنور (1983)؛ "الاستشراق في أزمة".
مجلة الفكر العربي، ترجمة حسن قبيسي، ع 32، 70-93.
- العقاد، عباس (2014)؛ *عبد الرحمن الكواكبي*، لندن: مؤسسة هنداوي، ط1.
- فارس، محمد خير (1961)؛ *المسألة المغربية 1900-1912*، القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية.
- فالننين فايت (1994)؛ *تاريخ الألمان مع عرض موجز للتاريخ الألماني حتى الوقت الحاضر 1945-1990*، ترجمة احمد حيدر، دمشق: الابجدية للنشر والتوزيع، ط1.
- فوك، يوهان (2014)؛ *تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين*، ترجمة عمر لطفي العالم، عمان: مكتبة الاسرة- وزارة الثقافة.
- الكروي، محمود وحامد، صادق (2016)؛ "مؤتمر الجزيرة الخضراء سنة 1906 وتداعياته في المغرب".
مجلة سر من رأى للدراسات الإنسانية، مج 13، ع 47، 1-20.
- لورنس، هنري (2018)؛ *الأزمات الشرقية: المسألة الشرقية واللعبة الكبرى 1768-1914*، ترجمة بشير السباعي، القاهرة: آفاق للنشر والتوزيع، ط1.

مارشاند، سوزان (2020)؛ الاستشراق الألماني في عصر الإمبراطورية، ترجمة رضوان السيد، ج2، القاهرة: المركز العربي للترجمة.

محمد، غازي (2019)؛ التنافس الاستعماري حول المغرب الأقصى في ظل المؤتمرات الدولية 1884-1912، رسالة ماجستير غير منشورة، قسم العلوم الإنسانية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، جامعة أحمد دراية، أدرار، الجزائر.

الموسى، سليمان (1977)؛ الحركة العربية، بيروت: دار النهار.

المولى، سعود (2016)؛ "الأمير شكيب أرسلان: العثمانية والعروبة والحرب الكونية الأولى (1890-1916)". في كتاب أبحاث مؤتمر: مائة عام على الحرب العالمية الأولى - مقاربات عربية، مج 1، 505 - 455، الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

REFERENCES

- Aqsakal, M. (2011); "Holy War Made in Germany"? Ottoman Origins of the 1914 Jihad". *Sage Journals*, vol. 18, no. 2, Pp. 184-199.
- Avcı, R. (2019); "Martin, Hartmann (1851-1918): A German Orientalist and His Discourse on the Young Turks". *Mukaddime, Mardin Artuklu Üniversitesi Sosyal Bilimler Enstitüsü Adına Sahibi*, vol.10, part 2, Pp. 470-485.
- 'Abd al-Malik, Anwar (1983); "Orientalism in Crisis". *Arab Thought Magazine*, Hassan Qubaisi trans., No. 32, Pp. 70-93, Beirut: Arab Development Institute.
- al-'Aqqād, 'Abbās (2014); *'Abd al-Rahmān al-Kawākibī*, London: Hindāwī Foundation.
- Badawī, 'Abd al-Rahmān (2011); *Encyclopedia of Orientalist Figures*, Amman: Family Library - Ministry of Culture.
- Baṭrawī, Muṣṭafā (2017); "The German Position on the Moroccan Issue at the End of the Nineteenth and Beginning of the Twentieth Centuries". *al-Hikmah Journal of Historical Studies*, Vol. 5, Issue 11, Pp. 246-257.
- Becker, C. H (1909); *Christianity and Islam*, H.J. Chaytor trans., New York: Harper Brothers.
- Becker, J. E. (2005); *Die Gründung des Deutschen Kolonialinstituts in Hamburg*, Wissenschaftliche Hausarbeit zur Erlangung des akademischen Grades eines Magister Artium der Universität Hamburg, Hamburg.
- Berman, N. (2011); *German Literature on the Middle East: Discourses and Practices, 1000-1989*, Ann Arbor: University of Michigan Press.
- Bird, F.L. (1919); "Solving the Persian Problem". *Asia: Journal of the American Asiatic Association*, no. 19, Pp. 45-50.
- al-Dabaḥāwī, Muṣṭafā and al-Ghānimī, Furqān (2018); "The Role of the Orientalist Max von Oppenheim in German Propaganda for the Holy War 1915-1918". *Islamic University College Journal*, no. 48, Pp. 415-440.
- Fāris, Muḥammad Khayr (1961); *The Moroccan Question 1900-1912*, Cairo: Institute of Arab Research and Studies.
- Fischer, F. (1971); *Griff nach der Weltmacht: die Kriegszielpolitik des kaiserlichen Deutschland 1914- 1918*, Düsseldorf: Droste Verlag.
- Fock, Johann (2014); *History of the Orientalist Movement: Arab and Islamic Studies in Europe until the Beginning of the Twentieth Century*, 'Umar Luṭfī al-'Ālim trans., Amman: Maktabat al-Urah-Wizārat al-Thaqafah.
- Gummer, Chase (2010); *The Politics of Sympathy: German Turcophilism and the Ottoman Empire in the Age of the Mass Media 1871-1914*, Ph.D. Dissertation, Georgetown University.
- Gutsche, W. (1977); *Herrschaftsmethoden des deutschen Imperialismus 1897/8 bis 1917: Dokumente zur innen- und aussenpolitischen Strategie und Taktik der herrschenden Klassen des Deutschen Reiches*, Berlin: Akademie-Verlag.
- Hagen, Gottfried (2004); "German Heralds of Holy War: Orientalists and Applied Oriental Studies". *Comparative Studies of South Asia, Africa, and the Middle East*. Duke University Press, Vol. 24, Number 2, 2004.145-162.
- Herman, J. (2014); *Carl Heinrich Becker and the Making of the Modern Orient*. Thesis in Master of Arts (MA), Department of History, Georgia State University.
- al-Ḥakīm, Nāṣir (2010); *The Dialectic of Thought and Action in Prince Shakib Arslan: A Critical Historical and Intellectual Study*, Beirut: al-Dār al-Taḳaddumīyah.
- Hourani, Albert (1977); *Arab Thought in the Renaissance Era 1798-1939*, Karīm al-Zaghoul trans., Beirut: Dār al-Nahār for Publishing and Distribution, 4th ed.

- Irwin, R. (2006); *Dangerous Knowledge: Orientalism and Its Discontents*, New York: Overlook Press.
- Jäckh, E (1916); *Der aufsteigende Halbmond: auf dem Wege zum deutsch-türkischen Bündnis.*, ergänzte Auflage, Stuttgart u. Berlin: Deutsche Verlags-Anstalt, 6th ed.
- Kayali, H. (1997); *Arabs and Young Turks: Ottomanism, Arabism, and Islamism in the Ottoman Empire, 1908-1918*, California: University of California Press.
- al-Karwī, Mahmūd and Hāmid, Šādiq (2016); “The Algeciras Conference of 1906 and its Repercussions in Morocco”. *Surra Man Ra’a Scientific Refereed Journal*, vol. 13, no. 47, Pp. 1-20.
- Kedar, A. (2013); “National Socialism Before Nazism: From Friedrich Naumann to the 'Ideas of 1914’”. *History of Political Thought*, vol. 34, no. 2, Pp. 324–349.
- Krug, S. (2020); *Die Nachrichtenstelle für den Orient: im Kontext globaler Verflechtungen (1914-1921: Strukturen – Akteure – Diskurse*, Bielefeld: Transcript Verlag.
- Lawrence, H. (2018); *Eastern Crises: The Eastern Question and The Great Game 1768-1914*, Bashīr al-Sabā’ī trans., Cairo: Āfāq li-al-Nashr wa-al-Tawzī’.
- Marchand, S. (2009); *German Orientalism in the Age of Empire: Religion, Race, and Scholarship*, New York: Cambridge University Press.
- Marchand, S. (2018); *German Orientalism in the Age of Empire: Religion, Race, and Scholarship*, Riḍwān al-Sayīd trans., 2 vols., Cairo: al-Markaz al-‘Arabī li-al-Tarjamah.
- Marianne, K. (1984); *The Great Powers and the End of the Ottoman Empire*, London: Anon Heyman.
- al-Mawlā, Sa’ūd (2016); “Prince Shakib Arslan: Ottomanism, Arabism, and the First World War (1890-1916)”. In Proceedings of the Conference: *One Hundred Years after the First World War – Arab Approaches*, vol. 1, Pp. 455-505, Doha: Arab Center for Research and Policy Studies.
- Muḥammad, Ghāzī (2019); *Colonial Competition over Morocco in Light of International Conferences (1884-1912)*, Unpublished MA. Thesis, Department of Humanities, Faculty of Humanities, Social Sciences and Islamic Sciences, Ahmed DRAIA University, Adrar, Algeria.
- al-Musā, Sulaymān (1977); *The Arab Movement*, Beirut: Dār al-Nahār.
- Oppenheim, M. (1914); “*Oppenheims Denkschrift betreffend die Revolutionierung der islamischen Gebiete unserer Feinde*”. Berlin, Denkschrift Oppenheim, Politisches Archiv des Auswärtigen Amtes der Weltkreis, Amtes-Bonn., Nr 11, R20937, vol. 2.
- Özçalk, S. (2020); *Promoting an Alliance, Furthering Nationalism: Ernst Jäckh and Ahmed Emin in the Time of the First World War* (Studies on Modern Orient, 30), Berlin: Klaus Schwarz Verlag (PDF).
- Ra’ūf, ‘Imād (1986); “Arab Associations and Their Nationalist Thought: Features of Arab National Consciousness from the Beginning of the Nineteenth Century until the Outbreak of World War I”. in: *The Intellectual Symposium on the Development of Arab Nationalist Thought*, Pp. 103-135, Beirut: Center for Arab Unity Studies.
- Robbe, M. (1988); *Welt des Islam: Geschichte und Alltag einer Religion*, Köln: Rugenstein.
- Ruppenthal, J. (2007); *Kolonialismus als "Wissenschaft und Technik": Das Hamburgische Kolonialinstitut 1908 bis 1919*, Stuttgart: Franz Steiner Verlag.
- Said, Edward W. (2006); *Orientalism: Western Conceptions of the Orient*, Muḥammad al-‘Anānī trans., Cairo: Dar Ri’yah lil-Nashr.
- Sannū, ‘Abd al-Ra’ūf (2007); *Germany and Islam in the Nineteenth and Twentieth Centuries*, Beirut: al-Furat Publishing and Distribution.
- Schiefel, W. (1974); *Bernhard Dernburg 1865–1937: Kolonialpolitiker und Bankier im wilhelminischen Deutschland*, Zürich: Atlantis-Verlag.

- Schraepler, E. (ed.) (1996); *Quellen zur Geschichte der sozialen Frage in Deutschland: 1871 bis zur Gegenwart*, Göttingen and Zurich: Hansen-Schmidt, Hans-Verlag, 3rd ed.
- Schwanitz, W. (2004); *German Middle Eastern Policy 1871–1945*, Pp. 1-23, https://www.academia.edu/38463837/German_Middle_Eastern_Policy_pdf
- Shia, Muḥammad (1979); “Prince Shakib Arslan and the Problem of Relations with the West”. In: *Prince Shakib Arslan and the Challenges of the Renaissance 1869-1946*, vol. 5, no. 35-36, Pp. 281-288, Beirut: al-Anbā’ Newspaper.
- al-Shaybānī, Sulṭān (1915); *Qasim ibn Sa‘ūd al-Shamākhī, Pioneer of Ibadī Journalism*, Muscat: al-Sa‘dīyah Library.
- Snouck, H. (1915); *The Holy War Made in Germany*, Joseph E. Gillet trans., New York and London: Putnam’s Sons.
- Theilhaber, A. (2020); *Friedrich Rosen: Orientalist Scholarship and International Politics*, Berlin/Boston: Walter de Gruyter.
- Trumpener, U. (1966); “Liman von Sanders and the German-Ottoman Alliance”. *Journal of Contemporary History*, vol. 1, Issue 4, Pp. 179–192.
- Valentin, Veit (1994); *Eine Geschichte der Deutschen mit einem kurzen Überblick über die deutsche Geschichte bis zur Gegenwart 1945-1990*, Ahmad Haydar trans., Damascus: al-Abjadīyah li-al-Nashr wa-al-Tawzī‘.
- Von Arna, S. (2024); Kolonialabteilung, Reichskolonialamt und Reichskolonialministerium 1890-1920. <https://www.traditionsverband.de/magazin/rka.html>
- al-Zu‘bī, Amjad (2019); “German Orientalism and Infiltration in the Ottoman Empire: A Study of Functions and Roles of the German Orientalism in the Last Quarter of the Nineteenth Century”. *Dirasat: Human and Social Sciences*, vol. 46, no. 1, Supplement 2, Pp. 357-369.